تُبت يدا
أبي لهب وتب
ما أغنى عنه ماله وما كسب



تفسير سورة المسد

للشيخ هاني حلمي

حفظه الله

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمد لله وكفى، وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى وآله المستكملين الشرفَ
ثم أما بعد،،

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء همومنا.
اللهم ذكرنا منه ما نُسينا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا.
اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.
ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

تفسير سورة المسد

نتدارس بحول الله تعالى وقوته سورة المسد،

وهي سورة مكية، عدد آياتها خمس، هذه السورة تضمنت الكلام عن مصير أبي لهب الذي كان شديد العداء لرسول الله ﷺ، وتوعدته السورة في الآخرة بنارٍ موقدة يصلاها ويلقى فيها أشد العذاب.

وقرنت زوجته به في ذلك، واختصتها بلونٍ من العذاب الشديد، وهو ما يكون حول عنقها من حبلٍ من ليف، وتُجذب به في النار زيادة في التنكيل والدمار، وبهذا سُميت هذه السورة المسد.

تسمية السورة

كلمة المسد المقصود منه الحبل إذا أجيد فتله، الحبل هو السلسلة، حبلٌ من مسد أي السلسلة التي ذكرها الله تبارك وتعالى، قالوا أنها تكون من حديد محكم وهو جزاء امرأة أبي لهب على ما صنعت كما سنبين.

طبعًا السورة سُميت بهذا الاسم بالنسبة لهذه السلسلة التي تكون في عنق زوجة أبي لهب، هذا الحبل من الليف أو هذه السلسلة الحديدية التي تكون في رقبتها.

هذه السورة تُسمى بسورة تبت، وتُسمى بسورة أبي لهب، تُسمى بسورة اللهب، وسميت بسورة تبت يدا أبي لهب؛ هذه كلها أسماء إجتهادية، لكن الاسم الذي درج عليه أهل التفسير، وسُميت به في بعض المصاحف وبعض كتب التفسير هو اسم سورة المسد.

ما جاء في السنة المطهرة حول سبب نزول السورة الكريمة

سورة المسد؛ ورد في السنة بيان لسبب نزول هذه الآيات:

فعن ابن عباس أن رسول اللهﷺ خرج إلى البطحاء وصعد الجبل، فنادى يا صباحاه، وذلك لمَّا نزل قول الله تبارك وتعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} [الحجر: 94] فصعد النبيﷺ الجبل وقال: " يا صباحاه، يا صباحاه- وهذه من الكلمات التي كانوا يجتمعون عند سماعها- فاجتمعت إليه قريش، فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ - إذا قلت لكم أن هناك أحدًا قادم يُغير على قريش الآن ستصدقوا كلامي؟ - قالوا: نعم. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد. فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا، تبًا لك. فأنزل الله تبارك وتعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد:1] " [رواه البخاري في صحيحه(4972)]

وفي رواية " فقام ينفض يديه وهو يقول: تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فأنزل الله {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} " فالأول دعاءٌ عليه، والثاني خبرٌ عنه {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}.

فأبو لهب هذا هو أحد أعمام النبيﷺ كان يُسمى بعبد العزى بن عبد المطلب، وكانت كنيته أبو عتيبة، وإنما سُمي أبا لهب لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول اللهﷺ.

فأبو لهب كان كذلك يُسمى بهذا الاسم في الجاهلية لإشراق وجهه، وليس أبو لهب على معنى أنه صاحب النار على اعتبار أنه من أهلها كما بينت السورة، وإنما كانت كُنيته أبو عتيبة، وكان يقال له كذلك أبا لهب لإشراق وجهه.

كان -سبحان الله- عَمٌ للنبيﷺ ولكن كان يبغضه، وهنا لفتة ينبغي أن نضعها في الاعتبار؛ أحيانًا يأتي الإيذاء من أقرب الناس، من أقارب الإنسان، ومن عمومته، أو من أرحامه، فسبحان الله الذين هم أبعد الناس –افتراضًا- عن ذلك قد يأتي من قبلهم الأذى، كان أبو

لهب من أشد الناس إيذاءً للنبيﷺ وبغضًا له، وازدراءً به، وتنقصًا له ولدينه فسبحاااان الله القائل: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ} [الفرقان: 20]

الوقوف على بيان الكلمات

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} أي خسرت وخابت وضل عمله وسعيه.

وتب؛ أي وقد تب تحقق خسارته وهلاكه.

الأولى ماذا؟ دعاءٌ عليه بالخسران {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}

{وَتَبَّ} الثانية خبر على تحقق ذلك، أي حدث ذلك وسيحدث ذلك لا محالة.

تبت هلكت وخسرت وخابت يدا أبي لهب،

كأن المعنى اللهم فأنزل الخسران والهلاك على أبي لهب، وتأتي وتب لتعطي معنى تحقق الإجابة في شأن هذا العدو لله، وتب أي تحققت هذه الخسارة والهلاك له.

{مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد:2] أي ولده، أي ما أغنى عنه ماله ولا ولده.

{سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ} [المسد:3] أي ذات شرر ولهيبٍ وإحراقٍ شديد.

{وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} [المسد:4] كانت زوجته من سادات نساء قريش، وكانت تُدعى أم جميل، واسمها أروة بنت حرب بن أمية، وكانت أخت أبو سفيان، وكانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عونًا له في عذابه في نار جهنم، وهكذا الصاحب ساحب، وهكذا المرء على دين خليله، وهكذا أرشد النبيﷺ إلى خطورة مسألة الزواج، وقال: " استوصوا بالنساء خيرًا فإنما هن عوانٌ عندكم " [حسنه الألباني في صحيح الجامع (7880)] أن المرأة أسيرة في بيت زوجها، وعادةً تتشكل بطباعه وبأخلاقه، ولأنه من المفترض أن يكون هو القيم والسيد في بيت زوجته، وسمى الله تبارك وتعالى الزوجة بصاحبة لأنها تصحب زوجها، وعادةً تقترن به، ولذلك إذا كان الرجل من أهل الجنة، فإن الله تبارك وتعالى يُكرمه بزوجته في الدنيا لتكون خليلته في الجنة أيضا، ويكون هو بذلك سببًا في دخولها الجنة أو العكس.

فامرأته حمالة الحطب كانت عونًا له على الكفران فتشترك معه على الإثم، وبالتالي في العقوبة.

فكانت حمالة الحطب أي تحمل الحطب فتلقى على زوجها ليزداد على ما هو فيه، وهي مهيأة لذلك مستعدة له.

كلمة حمالة الحطب قالوا أنها كأنها هي التي كانت بالمعنى هي التي تُسخنه، هي التي تزيده نارًا، تحمل الحطب.

وقالوا حمالة الحطب؛ كانت تمشي بالنميمة، وقيل كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ وهذا اختيار ابن جرير الطبري.

وقيل لها قلادة فاخرة وقالت لأنفقنها في عداوة محمد أي فأعقبها الله مثلها لكن حبلاً في جيدها من مسد النار.

أما المسد فقيل الليف وقيل سلسلة ذرعها سبعون ذراعا، وقيل قلادة من نار طولها سبعون ذراع.

في السورة دليل على النبوة

قال أهل العلم: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فإنه منذ نزل قوله تبارك وتعالى: {سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} [المسد:3- 5] فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا، كانوا يعاندوا ويؤمنوا حتى تكون نكاية في القرآن الذي تقولون أنه من لدن حكيم خبير، وأن محمدﷺ لم يفتريه، إذًا عليكم أن تصنعوا عكس ذلك، لكن أعجزهم الله تبارك وتعالى، فإذا بهما يموتان على الكفران، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على نبوة النبيﷺ.

الدروس التربوية

تعالوا نتأمل هذه السورة ونمعن النظر فيها أكثر وأكثر، نستخرج مجموعة من الدروس التربوية.

فائدة الافتتاح ب{تَبَّتْ}

قلنا هذه السورة كانت من السور التي نزلت في أوائل بعثة النبيﷺ بعد السنوات الثلاث التي كانت محل للدعوة السرية، نزل قول الله تبارك وتعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ } فحدثت الحادثة التي ذكرناها من صعود النبيﷺ على الصفا وفِعل أبي لهب؛ لذلك قالوا أن هذه السورة كان نزولها في السنة الرابعة من بعثة النبيﷺ وكانت هذه السورة زجرًا لأبي لهب ولكل من هو على شاكلته.

فافتتاح السورة بتبت هذا فيه توبيخ ووعيد شديد، وفيه براعة استهلال لأنه يُؤذن بالذم والشتم، كما افتتحت سور بالويل مثلاً {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين:1]، في ذلك نكاية شديدة بأعداء الدين في كل زمان.

{تَبَّتْ} أي خسرت وهلكت كما قلنا، وفيها تقريع شديد لأبي لهب.

والدرس التربوي فيها يا كل من تصد عن سبيل الله، يا كل من لك يد في الوقوف أمام دعاة الإسلام، أمام دعوة لا إله إلا الله، أمام تطبيق شرع الله، أمام أن يَعُم الإسلام كل مكان؛ يا من لك يد في ذلك تبت يدك، وخسرت يدك، وستصلى عذابًا مريرا يا كل من تصد عن سبيل الله إنك كما قال الله تبارك وتعالى: {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ} [الحشر:2]، إنك تحفر قبرك بيدك؛ {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}.

ثم أن عادة الناس في العتو والتكبر، لماذا كان يصنع ذلك أبو لهب لماذا وهو عَمْ النبيﷺ؟

فتنة المال

لأنه كان متكبرًا بالمال والولد، وهذه عادة الناس أنه إذا جرى المال استغنى كما ذكرنا هذا المعنى فيما سبق من آيات الله البينات {.. إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى} [العلق:6، 7]، كما قال سبحانه وتعالى: {وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى} [الليل:8، 9]، هنا يقول الله: {مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ} سيقول يوم القيامة {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ} [الحاقة:28، 29]، فلا ينبغي للإنسان أن يغتر بماله، فإن هذا المال كما قال أهل العلم إنه عقرب، المال والله الذي لا إله غيره عقرب يلدغ الإنسان، والمال ينبغي أن نعرف حقه، وأن نتعلم هذا لأن فتنة أمة النبي محمدﷺ في المال، فينبغي أن نفهم هذا الدرس جيدًا.

قال يحي ابن معاذ: الدرهم عقرب فإن أحسنت رقيتها وإلا فلا تأخذها.

الدرهم عقرب فإن أحسنت رقيتها؛ أي تعرف تتداوى، أي تضع المال في وجهه كان بها، وإلا فإن هذا المال قد يكون سبب هلاكك وأنت لا تدري فحب المال حبٌ في النفس يُهلك النفس.

علينا أن نعرف أن النبيﷺ أرشدنا إلى هذا المعنى؛ حق هذا المال كيف يكون؟

قال النبيﷺ: "إنما حق هذا المال أن يُنفق هكذا وهكذا وهكذا" وأشار النبيﷺ عن يمينه ويساره ومن أمامه، وهذا ليدل على أن انفاق المال هو الذي يخلصه لأن المال العبد مستخلفٌ فيه، وقد أخبرنا النبيﷺ أن ابن آدم يكره قلة المال، مع أن قلة المال أقل للحساب. قالﷺ فيما روى الإمام أحمد في مسنده " اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب" [صححه الألباني في صحيح الجامع(139)].

وكان يأمرناﷺ بأن نأخذ المال طيبة به نفوسنا بغير استشراف؛ قالﷺ: " إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مستشرف، ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك " [صححه الألباني في صحيح الجامع (473)]. لا تستشرف لذلك، الحديث في البخاري، لا تستشرف لهذا وإنما الله يدبر لنا أمورنا.

وكان يأمرناﷺ أن ننظر إلى من هو أسفل منا في الدنيا والمال؛ فيقولﷺ في الصحيحين: " إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه من المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه " [رواه البخاري في صحيحه(6490)]، عندما ينظر الشخص إلى من هو أسفل منه حتى يداوي مرض التسخط الذي قد يدخل قلبه وهو لا يدري.

وبين لنا النبيﷺ أن أهل الدنيا يقيّمون الناس بالمال، وهذا من سفه العقول؛ فقد روى النسائي والإمام أحمد في مسنده بإسنادٍ حسن أن النبيﷺ قال: "إن أحساب أهل الدنيا الذين يذهبون إليه هذا المال " [حسنه الألباني في صحيح الجامع(1544)]، هذا المال يقيمون به الناس، وهذا كما قلت من سفه العقول، فإن الله سبحانه وتعالى يُعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، إنما لا يُعطي الإيمان إلا من أحب، علينا ألا نقيّم الناس بما في جيوبهم والمتاع الظاهر، وإنما نقيم الناس بإيمانهم، بمدى استجابتهم لشرع الله تبارك وتعالى، مدى إلتزامهم. فيا عباد الله إننا نتكلم كثيرًا حول هذا المعنى لخطورته.نِعم المال الصالح للمرء الصالح لا بأس، لكن اجعل المال في يدك وليس في قلبك.

متى هلكت بحب المال فقد أصيبت مقاتلك، أصبت في مقتل، وإنما علينا أن ننفقه حيث يحب الله تبارك وتعالى والنبيﷺ كما روى الطبراني في الكبير بإسنادٍ حسن قال: " ليس في الدنيا حسد إلا في اثنتين؛ الرجل يغبط الرجل أن يعطيه الله المال الكثير فينفق منه فيُكثر النفقة، فيقول الآخر لو كان لي مال لأنفقت مثل ما ينفق هذا وأحسن، فهو يحسده -حسدًا حسنا فيأخذ

أجره أيضًا إن شاء الله بنيته- ورجل يقرأ القرآن فيقوم الليل وعنده رجل إلى جنبه لا يعلم القرآن، فهو يحسده على قيامه، وعلى ما علمه الله عز وجل من القرآن، فيقول لو علمني الله مثل هذا لقمتُ مثل ما يقوم " [قال الألباني في صحيح الترغيب: حسن لغيره(634)]، فهذه غبطة وإن شاء الله تبارك وتعالى يؤجر العبد على تمني الخير مع عدم تمكنه من إدراكه لقلة ذات يده أو قلة علمه أو نحو هذا.

والنبيﷺ قال لحكيم بن حزام: " يا حكيم هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يُبارك له فيه " [رواه البخاري في صحيحه(2750)].

وكان النبيﷺ يرشدنا أن التقييم الحقيقي بما في القلوب؛ فقد روى ابن حبان أنهﷺ قال لأبي ذر: " يا أبا ذر، أترى كثرة المال هي الغِناء؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: أفترى قلة المال هي الفقر؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب " [صححه الألباني في صحيح الموارد(2138)]، فالغنى الحقيقي؛ غنى القلب بالإيمان، بالعلم، بأثر الطاعة، والفقر الحقيقي الفقر من الإيمان.

فعلينا ألا ننسى هذا الدرس حينما نمر على قول الله تبارك وتعالى: {مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ}.

{..وَمَا كَسَبَ}

{..وَمَا كَسَبَ} أي ما جمع، وقالوا مراد بذلك ولده فإن الولد من كَسِبِ أبيه، فقالوا أن هذا هو المعنى، وقالوا المعنى عام في كل ما كسب، كل ما جمع من حطام الدنيا الفاني سواء من نقود وسلاح وطعام وكذا وكذا.. {مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}

{سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ}

{سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ} سيصلى السين هنا للتحقيق، مثل قول الله تبارك وتعالى: {قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي } [يوسف:98]، سيصلى يعني تحققًا، وهو بيان لقول الله تبارك وتعالى {مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} أي لا يُغني عنه شيء من عذاب الله فإذا نزل بساحته العذاب فإنه لا يستطيع أن يتخلص منه.

{سَيَصْلَى نَارًا} أي يُشوى بها، وسيشعر بإحراقها.

{سَيَصْلَى نَارًا} أصل كلمة صلى معناها الشوي بالنار، سيصلى أي سيُشوى بالنار والعياذ بالله.

{سَيَصْلَى نَارًا} أي سيصلى بنارٍ {..ذَاتَ لَهَبٍ} وهذا زيادة في الإمعان في تعذيبه، لأن كلمة نار وحدها كانت كافية، لكن ذات لهب تأكيدًا على شدة العذاب الذي سينزل به.

الجزاء من جنس العمل

ثم أعقب ذم أبي لهب ووعيده بمثل ذلك لامرأته لأنها كانت تشاركه في أذى النبيﷺ؛ {وَامْرَأَتُهُ..} أي زوجه، قال الله تبارك وتعالى في قصة إبراهيم {وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ} [هود:71]، وقال في قصة لوط {إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} [الأعراف:83]، وفي قصة يوسف {امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ} [يوسف:30]، وامرأة أبي لهب قالوا سُميت كذلك بهذا الوصف {وَامْرَأَتُهُ..} قالوا لأنه لمَّا حصل لأبي لهب وعيد مقتبسٌ من كُنيته جعل لامرأته وعيد مقتبس لفظه من فعلها {وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} وهو أنها حملت الحطب في الدنيا فأُنذرت أنها ستحمل الحطب في جهنم، فكما صنعت في الدنيا فالجزاء من جنس العمل، فكأن في هذه الآية بيان لهذه القاعدة الإيمانية المعلومة الجزاء من جنس العمل، {سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ} يا أبا لهب، يا من حملت اللهب في وجه النبيﷺ بأن عاديت النبيﷺ ستصلى من جنس عملك.

ويا من تحملين الحطب في الدنيا، يا من كنتِ توغرين صدر زوجك، وكنتِ تشعلين النار في قلبه، وتزيديه عداوة للنبيﷺ سيُزاد عليكِ في العذاب، وستحملين الحطب في جهنم ليوقد به عليكِ وعلى زوجك.

ياالله، انظر إلى المعنى حمالة الحطب ستحمل حطب، ويكون هذا الحطب هو الذي يُعذب به زوجها وذلك خزي لها ولزوجها؛ إذ جعل شدة عذابه على يد أحب الناس إليها، وجعلها سببًا لعذاب أعز الناس عليها، ألم يكن زوجك أحب الناس إليكِ من دون الله تبارك وتعالى، وكنتِ تشتركين معه؛ إذًا العذاب المر.

لكل زوج وزوجة إياكم أن تكونوا حمالين للحطب

بالطبع الرسالة واضحة لكل ذي عينين، إياكِ يا أمة الله أن تكوني موافقة لزوجك على معاصي الله تحت داعي وماذا أفعل أنا الأمور ليست بيدي، هو الرجل.

وإياكِ أن تكوني سبب في أن يعصي زوجك ربه؛ النساء التي تقول له أنا أشعر بالنكد وأريد تلفاز في البيت، وتجلس هي للتتسلى، وهو يجمع في معاصي، وهي تجلس تشاهد المسلسلات والأفلام وهذا الكلام وكأنها تحمل الحطب لزوجها.

التي عندما يعود زوجها يبدأ مجلس النميمة والغيبة المحترم، اه هل عرفت جارتنا.. والدتك.. أختك..فلانة، وتبدأ جلسة الفضفضة التي تكون بين الرجل وامرأته التي تنقلب إلى غيبة ونميمة والعياذ بالله تبارك وتعالى، أنتِ تحملين الحطب.

هذه الأيام ناس كثيرة جدًا لا يدخلوا في الالتزام بسبب زوجته أو بسبب زوجها؛ ما السبب؟

هي تقول أنا لو لبست النقاب سيقول لي أنتي أصبحتي مثل العفريتة وكذا، وأنا أريد أن أمشي في الشارع وأتباهى حتى لا تقع عينه على غيري. وهذا كلام الشياطين.

كثير جدًا من النساء عندما تنصحهم في هذا المعنى حينما يتصلون للاستفتاء، ننصحهم بلبس كذا أو كذا تقول أنا زوجي لا يعجبه وأنا أعرف زوجي جيدًا ما الذي يُعجبه. وهل زوجك يُعجبه أن خلق لله يتفرجون عليكِ، أيُ دياثةٍ هذه، وهل يكون رب العالمين غير راضٍ عنكِ والمهم أن زوجك يكون هو راضٍ.

والعكس هو يقول أنا متزوج من واحدة معينة، وأنا لا أستطيع أن أتركها، أنا أحبها جدًا، وهي لها طقوس معينة وأمور معينة هكذا، هي تحب تتنزه للمكان كذا وتفعل وكذا، ونحن اعتدنا على هذه الحياة، فحتى أنا ألتزم هي لن يعجبها هذا الحال.

فأين الرجال، واحسرتاه على رجولةٍ ضاعت.

وأعرف ناس والعياذ بالله تبارك وتعالى وقعوا في هذا الشر الكبير؛ أخوات كُنْ محجبات حجابًا شرعيًا وبعد ذلك اكتشفت أن زوجها التي كانت تظن أنه إنسان على جادة الطريق، أنه إنسان يتبع هواه وأنه نعم يصلي ويصوم ويفعل كذا، لكنه يدخل المواقع الإباحية، ويسافر بلاد للعربدة وهكذا، اكتشفت هذا الأمر ولطالما يريد الذهاب لأماكن فقالت له: ما هذه الأماكن هذه ندخلها !! لنحترم أنفسنا لكي حتى لا نكون فتنة على أحد، فماذا ترى أنت إذًا أخلع الحجاب طالما نحن نجلس وسط الناس حتى لا نكون فتنة، وإذا به يُظهر نفسه على طريقة سي السيد وعنتر ينتفخ ويقول لا وكيف وكذا وكذا فالإخوة قالوا له: هي تقول كلام صحيح، فإما أنك تلتزم وتكون هي معك على الإلتزام، وإما طالما أنك لا تريد التزامًا إذًا فتحمل الأمر كله. وهو للأسف الشديد رضي بأن يتحمل، {حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ }.

{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ}

{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ}؛ هذه صفة ثانية أو حال ثاني، وذلك إخبار بما تُعامَل به في الآخرة، يجعل لها حبل في عنقها تحمل فيه الحطب في جهنم لإسعار النار على زوجها.

الجيد هو العنق ويغلب في الاستعمال على عنق المرأة وعلى محل القلادة، وهو محل السلسلة التي تتزين بها المرأة، فإذا بها يكون في عنقها هذه السلسلة من نار، أو هذا الحبل من نار والعياذ بالله تبارك وتعالى{جَزَاءً وِفَاقًا} [النبأ:26].

{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ}؛ من الفوائد التي ابن القيم يتحفنا بها قال: معنى ليس الكثير سيقف عليه من الفوائد التربوية لكنها فائدة فقهية، قال: ربنا سبحانه وتعالى قال {وَامْرَأَتُهُ..}، وهو كان متزوجها بعقد صحيح، بعقد نكاح واقع في الشرك، وربنا -سبحانه وتعالى- سمى امرأة فرعون امرأة له {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ} [التحريم:11]، فسماها امرأته، والصحابة رضي الله عنهم غالبهم ولدوا من نكاح كان قبل الإسلام، وكان معروف النكاح قبل الإسلام على أنواعه، وكانوا ينسبون إلى آباءهم انتسابًا بلا ريب عند أحدٍ من أهل الإسلام، وأسلم الجم الغفير في عهد النبيﷺ ولم يأمرهم أن يجددوا العقود على زوجاتهم، أي أن يعملوا عقد جديد بل بالعكس أسلمت المرأة وأسلم الرجل ولم يحتاجا إلى عقدٍ جديد فهذا دليل على صحة أنكحة هؤلاء الكفار وأن الشرع ارتضى ذلك وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام. هذه فائدة ذكرها ابن القيم في كتاب أحكام أهل الذمة على قول ربنا تبارك وتعالى وامرأته حمالة الحطب.

جملة الفوائد في نقاط

أولًا: النصرة للإسلام؛ وهذا هو وجه الارتباط ما بين سورة المسد وبين سورة إذا جاء نصر الله والفتح.

إذا جاء نصر الله والفتح؛ فمن جملة هذا الفتح هلاك أعداء هذا الدين، فالمستقبل لهذا الدين والهلاك لكل المعاندين، وكل المحاربين وكل أعداء هذه الشريعة المطهرة؛ هذا استفدناه من {تَبَّتْ} ولكل من له يد في هذا سيصلى عقابا لأن الأمر ليس فقط على من يساهم بيده هو ولكن كل معين على الإثم والعدوان سيلقى ذلك ولذلك استخدم كلمة يدا.

ثانيًا: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} استفدنا منها عدم التكبر بالمال ولا بالعشيرة ولا بالولد فعرفنا أن من الأسباب التي تردي الناس أنه يخاف على المركز الإجتماعي، نحن نتكلم في زمان حدثت فيه ثورة في بلادنا، ولعل الناس بعد سنين طوال سيتذكرون هذا الكلام، نحن في عام ألف وأربعمائة واثنين وثلاثين وقامت في بلادنا -مصر- ثورة وأعقبها كثير من الاضطراب ولا ندري ماذا سيحدث في الوقت القادم في بلادنا، ولكن سبحان الله يقول كثير من أعداء تطبيق الشريعة الإسلامية يقومون ببعض الحيل والمكائد الخبيثة، ولعل السبب في ذلك، أو غالبًا كثير ممن يقوم بذلك أرباب المال وكأن الله سبحانه وتعالى يخاطبهم بهذه الآية {مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ} ولا ولده {مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} ما أغنى هذا المال ولا العشيرة، ولا هذا الجاه عن أبي لهب ولا عن أمثال أبي لهب، فإنها رسالة لكل صاحب قلب ليُنذر من كان حيا، إن في ذلك لآية لكن لأصحاب الألباب، وإن في ذلك لعبرة، وفي ذلك لحُجة لكل صاحب قلب حي ولمن ألقى السمع وهو شهيد.

فإذًا علينا ألا نغتر بالمال، وإنما علينا أن ننفق المال في مصارفه.

الأمر الثالث: لا نغتر بالولد ولا بالعشيرة وإنما نُصرفها في طاعة الله، كما قال الله تبارك وتعالى لنبيه في السورة السابقة التي تشرح لنا ما ينبغي علينا فعله حال الشكر للنعمة، {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ} [النصر:3]، أما الإنسان حال الكفران فإنه يتكبر بالمال وبالعشيرة ونحو ذلك؛ {مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}.

رابعًا: {سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ} أخذنا منها أمرًا خامسًا وهو الجزاء من جنس العمل.

خامسًا: {وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} كانت رسالة لكل زوج وزوجة.

كانت رسالة من أول الاختيار؛ اختر رفيقًا لك على الدرب، فاختر الرفيق قبل الطريق.

واختر من تعينك على طاعة الله تبارك وتعالى، وينبغي أن يكون الأمر كذلك لأن أول صاحب ينبغي أن يكون معينًا للإنسان هو زوج الإنسان -كلمة زوج تُطلق على الرجل والمرأة- سواء المرأة زوجها أو الرجل زوج المرأة، أي سواء هذا أو ذاك، سواء الرجل لامرأته والمرأة لرجلها ينبغي أن يكونا معنا عندما نتكلم عن الثبات ومن أسباب الثبات الصحبة الصالحة، أعظم صحبة صالحة صحبة الإنسان لزوجه، فأكبر وأهم معين الزوج و الزوجة، ولا ينبغي أن نقول

سبحان الله الأمور تغيرت في هذا الزمان، وأصبح الحال ليس هكذا أصبحت أكبر فتنة على الزوج زوجته والعكس صحيح، ينبغي أن تتبدل هذه المعاني.

{وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ }

نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما تعلمناه وأن يجعله حُجة لنا لا علينا.
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.
وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.